

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - ملكة الطهارة - ١٦/٢/١٤٢٥

(صديق فرنسي لمحمد علي يصف محاربتهم للدين الحق)

فيلكس منجان: مؤرخ فرنسي رافق حملة نابليون على مصر، وبقي في بلادنا نحو أربعين سنة، وألف كتابه: (تاريخ مصر في عهد محمد علي) بين عامي ١٨٠١ و ١٨٢٣م كريكورتيه.

وله ميزة على أبرز مؤرخي الواقعة الملائمة ابن بشر رحمه الله أن فلان استمع إلى وجهة نظر المحاربين للدعوة في مصر من قادة جيش الضالين ومرافقهم، واستمع إلى وجهة النظر السعيدة من أمراء وعلمائنا الذين نفوا إلى مصر من أبرزهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن والإمام فيصل بن تركي آل سعود رحمه الله جميعاً.

ولكنه الحري التي شبرا الشيخ د. صالح الصبور (رئيس قسم السنة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية) ثم رئيس هذه الجامعة فيما بعد) بالحرب الصليبية وأيده: د. زكريا بيومي أستاذ التاريخ الحديث في جامعة المنصورة بمصر، لكنه الحرب استمرت نحو سبع سنين يأمر من سلطان الخرافة العثمانية / محمود الثاني بن عبد الحميد الأول وتنفيذ محمد علي وابن طوسون ثم مكفول طبراهيم باشا وبدأت أول عام ١٨١١ وانتهت آخر عام ١٨١٨م كريكورتيه.

ومن قراءة تاريخ فيلنكس منجان (ترجمة د. محمد خير البيقاعي ونشر دار الملك عبد العزيز عام ١٤٢٤) يظهر لي أمران:

١- أن محمد علي وطبراهيم باشا وطوسون كانوا أقل سواداً من السلطان المجرم الأثم، ولولا أن أرغف محمد علي على حرب الدولة

والحجوة السَّودية المباركة لما خَطَرَتْ بِبَالِهِ وَلَمَّا رَغِبَ فِي بَيْتِكَ
مَا بَيْنَكَ مِنْ هَجْمٍ وَجَعْدٍ وَمَعْرَضٍ نَفْسٍ وَأَقْرَبِ أَهْلِكَ لِمَا تَقْرُّهُ وَالْ
مِنْ مَشَقَّةٍ وَعِنَاءٍ، وَمَاتَ ابْنُ طُوسُونَ فَوَرَعُودَةً مِنْ جَنَرَةٍ
الضَّرْبِ أَتْنَاءَ مَحَاوَلَتِهِ تَقْوِيضِ عَرْمَانِهِ مِنَ الْمَلَذَّاتِ بِصِحْبَةِ بَعْضِ
جُوهَارِيَةٍ مِنْ بَهْرَجِيَّاتِ وَطَرَتْ أَنَّ إِحْمَدَ كُنْتُ نَقَلْتَهُ إِلَيْهِ مِنْ الطَّاعُونَ
وَذَكَرَ فَلَاسٍ مَا نَجَّحَانِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا اسْتَقْبَلَ الْإِمَامَ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ سَعُودٍ فِي زِيَارَةِ الْحَرْبِ اسْتَقْبَالًا سَيِّدٍ وَعَلِيَّةً فَطَاهَرَ الْوَدَّ، وَأَنَّ
أَهْلًا سَمِعُوا عَنْهُ وَسَأَلُوهُ عَنِ اسْتِمْرَارِهِ فِي الْحَرْبِ رَغْمَ رَغْبَةِ
النَّاسِ فِي الِاسْتِسْلَامِ، فَأَجَابَهُ: (لَقَدْ نَزَّهْتَ الْحَرْبَ الْآنَ، أَمَا مَا حُدِّثَ
فَقَدْ كَانَ يَقْضَاءُ اللَّهُ وَقَدْرَهُ، لَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَطَمَّ بِرُفْقِي بَعْدَكَ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيَّ الرَّزْمِجَ. وَيُرْوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِذَا
أُرِدْتَ الِاسْتِمْرَارَ فِي الْحَرْبِ أُعْطَيْتَكَ مَا تَحْتَاجُهُ مِنَ الْبَارُودِ وَالزُّنْجَارِ،
وَيُرْوَى مِثْلَ هَذَا النَّاسِ فِي شِقَاءٍ: أَنَّ أَهْلَ الْقُرَيْشِ قَالُوا: لَوْ
فِي (طَيْتِ) مَاءَ قَرْبِنَا الْبَاسِ، فَقَالَ: (أُعْطِيكُمْ الْمَاءَ وَحَرْبِيَا
قَرْنِ شَيْطَانِ).

وَيَذَكَرُ فَلَاسٌ أَنَّ مُحَمَّدَ عَلِيَّ اسْتَقْبَلَ الْإِمَامَ عَبْدِ اللَّهِ اسْتَقْبَالًا لِابْنِ
بَعْدَهُ وَخَصَّ مِنْهُ إِسْمَاعِيلَ بَاشَا مَكَانًا لِإِقَامَتِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ
عِبَادَةَ الشَّيْخِ رَيْفٍ وَكَتَبَ لِسُلْطَانِ الْخُرَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ يَطْلُبُ الْفَوْ
عَنْهُ، وَسَأَلَهُ عَنِ رَأْيِهِ فِي إِبْرَاهِيمَ بَاشَا فَقَالَ: (أَرَى وَإِجْبِيَّةً
وَفَلَنَّا نَحْنُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ كَانَ).

وَيَذَكَرُ أَنَّ مُحَمَّدَ عَلِيَّ قَرَّرَ لِلْمُخَفِيِّينَ مِنْ آلِ سَعُودٍ مَخَصَّصَاتٍ شَهْرِيَّةً

تعيينهم على الحياة في مصر.

وذكر أن سلطان الخرافة لم يستجب لالتماس محمد علي الصغور
الإمام عبيد، وكان قراره بالارحمة، (لقد ذهب عبد الله بن محمد
الصغوري فطافوا به في المدينة ثلاثة أيام) أعلى عمارة ثم قطوا رأسه
في ساحة أيا صوفيا مع رفيقيه التقيين (ص ١٨٤).
وقبل ذلك لقي عبيد الرحمن المضايقي أهدى قيادة الجيش السعدي
المصير نفسه على يد الصفاح محمود بن عبد الحميد.
(٤) أن الجيش التركي لم يك قادر على هزيمة الدولة والرد على
قال فلانس، فالصغور وأهل البدو سدد مضيق أملاك الغزاة أمثالهم
فأرى أن لا بد من عزل البدو عن الدولة السعدية بسبب المضايقات
وأهل المال، ثم وبعد ما يحقق غمائه في شخص فيصل الرئيس
شيخ مطير أحمد فيصل الرئيس الذي فرج بعد ١٦ سنة على الملك
عبد العزيز رحمه الله جميعا، وقد قابل فيصل إبراهيم في طريق الثاني إلى
الرأس وعقد اجتماعا طويلا انتهى بوعده فيصل بتعيينه حاكما أعلى
الدرجته، وتبعية فيصل للقيادة العاقبة لجيش إبراهيم، وتزويده
بوسائل النقل والمواد، وتبعية قبيلة مطير للجيش التركي، وبذل
فيصل كل ما في وسعه (ومعه غانم بن مضيان) لجعل البدو ينفذون
عن الإمام عبيد بن سعود (ص ١٦٠-١٦٣).

(وبدلاً من أن يفي إبراهيم بوعده بعد انتهاء الحرب طالب فيصل بدفع
ضرائب عن الخمس سنوات الماضية وأرسل معه اثنين من حراسه
لاستلامه، وطأ وصل فيصل إلى مأمنه طرد حراس إبراهيم وقال:

قولاً: إن إسراحي في سقوط عبادة لا يقل عن إسراحي دائماً ^ببمشة
ولكنه قابلني بأسوأ أنواع الجحود، وإذا كان يريد مني شيئاً فعلياً أن
يأتي لأخذ مني عند قبيلتي، قال فلاس مايجان: (كان يا ربها
فيصل أن يهزم الأتراك ويخلص بلاده نجد من أعدائنا ولكن فضل
الإعتزال في الصياء) ص ١٨٨ و ١٨٩. وما ضل في ما ذكره فلاس
إلا كمثل غالب بن مسعود شريف مكة الطياركة كان شوكة في
جنب الدولة السعودية ونهازل بالانضمام إلى جيش العروان
وطا انترها من كافأه بالنفي في سالونيكاً ومصادرة أمواله
وأملأه ثم شفع له عند سلطان الخرافة العثمانية فرد عليه ماله
ولكنه مات في المنفى في بضع سنين (ص ٦٨ - ٧٩).

ومن الطرائف ما ذكره فلاس عن عملة طوسون أن جيشها هم تربية
بقيادة مصطفى بيك فخر في أهل بقيادة امرأة من قبيلة البقوم
اسمها غالية فراجموا فرقة المدفعية التركية وأجبرتهم على الفرار
تاركين وراءهم مرفصيتهم وأمتقنهم وسيمائهم من القتلى، ذكرها
الجبرتي ومحمود فرسي.

ولكنه نادرة فاطمسون لا تقودهم النساء في عهد النبوة والصحبة
والإتياع، ولا في العهد السعودي الذي مشى على نهجهم.
ولم يبرك في فلاس منجان محمد علي وقادة جيشه من القسوة والفرجة
والاعتقال بزعم الدولة والبعوة السعودية، ولكنهم يلاشك
كانوا غيراً من السطان، ومصل من محمد علي النون ملك مصر
وزهد في الجميع وبقيت دولة آل سعود ودعواتهم والحديد الكبراً مباركاً